سنّة الزواج وتيسير الأمور

محاضرة سماحة آية الله العظمى
السيّد صادق الحسيني الشيرازي دام ظلّه

إعداد
مؤسّسة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الثقافية

مؤسّسة الرسول الأكرم الثقافية

سنة الزواج وتيسير الأمور

الناشر: .....

إعداد: ..... مؤسّسة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله الثقافية

المطبعة: .....

الطبعة: ..... الأولى

عدد النسخ: .....

ردمك: .....

WWW.S-ALSHIRAZI.COM NASHR@S-ALSHIRAZI.COM

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين.

جاء في دعاء أيام شهر شعبان المعظم: «**اللهمَّ فأعنّا على الاستنان بسنّته فيه ونيل الشفاعة لديه**»[1].

السُنـّة والشفاعة

يحرّض هذا الدعاء الشريف الإنسان المؤمن على التوجّه إلى الله سبحانه وتعالى والتوسّل به ليعينه على الاستنان بسنّة النبيّ الأكرم محمد صلى الله عليه وآله

(١) مصباح المتهجد للطوسي:٨٢٨ رقم٣، ما يقال في كل يوم من شعبان.

في جميع أموره، ليحظى بشفاعته في يوم القيامة.

فالمراد من السنّة هو أسلوب العيش والسيرة الذاتية قولاً وعملاً وتقريراً.

أمّا الشفاعة، فهي مأخوذة عن الاقتران بين الشيئين أصلاً، كما تقول ركعتي الشفع، في مقابل ركعة الوتر الواحدة. أي بمعنى طلب الإنسان المؤمن من ربّه أن يكون نبيّه الأكرم صلى الله عليه وآله قريناً له في دعائه وفي موقفه يوم الحساب[1].

سنـّة الزواج

ومن السنن التي طالما حثّ عليها النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قولاً وعملاً وتقريراً هي سنّة الزواج،

(١) الشفع: ما كان من العدد أزواجاً. تقول: كان وتراً فشفعته بالآخر حتى صار شفعاً. وفي القرآن: والشفع والوتر. والشافع: الطالب لغيره. والاسم: الشفاعة. واسم الطالب: الشفيع. كتاب العين: ١/ ٢٦٠ مادة: شفع.

ولقد واصل الأئمة المعصومون سلام الله عليهم وعلى إثرهم العلماء الأعلام، ومن جملتهم أخي الأكبر[١] أعلى الله درجاته التأكيد والحثّ على نشر هذه السنّة الكريمة ذات الدور الكبير والمهمّ جدّاً في حفظ وصيانة المجتمع المسلم من خطر انتشار الموبقات والرذائل.

يعتبر الزواج وانطلاقاً من الحاجة لكلّ رجل وامرأة، مسألة طبيعية تفرضها النشأة التكوينية لكلّ إنسان.

إلاّ أنّ تأكيد النبيّ الأعظم صلى الله عليه وآله وحثّه على مسألة الزواج لم يكن ناظراً الى الجانب الغريزي من الزواج فحسب، وإنّما كان سبب تأكيده أرفع من ذلك وأسمى، آخذاً بنظر الاعتبار البعد الروحي والمعنوي الذي ينبغي أن يضفيه الزواج على كلّ من الرجل والمرأة.

(١) إشارة إلى المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد الحسيني الشيرازي رحمه الله.

ومع أنّ الفقهاء عرّفوا النكاح واعتبروه جزءاً من المعاملات، أي أنّ الرجل والمرأة يمسكان بعقدة النكاح من طرفيها، وأنّ لأحدهما الإيجاب وللآخر القبول، إلا أنّهم أضافوا إلى التعريف قولهم: بأنّ في النكاح بعداً عباديّاً أيضاً[١].

فكما أنّ الزواج يلبّي حاجة كلا الطرفين من النواحي المعلومة، كذلك هو كفيل بتلبية الحاجة الروحية لدى الانسان، فأضفى عليه الشرع حالة عبادية مقدّسة وبعداً معنوياً عظيماً، وقد خصّص له من الأجر والثواب ما لا يعدّه العادّون أو يحصيه المحصون؛ الأمر الذي يشير بوضوح إلى الفرق الكبير بين عقود البيع والإجارة والرهن والصلح، وبين عقد الزواج. إذ العقود الأولى عقود ذات صبغة ماديّة صرفة، بينما لعقد الزواج صبغة معنوية علاوة على ما ذُكر في غيره من العقود، كما أنّ له

(١) انظر: أبواب النكاح لكتب الفقه والرسائل العملية.

مدخلية في سعادة الفرد في الدارين.

ولذلك؛ فإنّ من خطا خطوةً ـ على اسم الله وبركته ـ لتحقيق هاتين السعادتين، كان جديراً بجزيل الثواب وعظيم الأجر.

فلينظر المساهمون في مجال الدعم المباشر أو غير المباشر في تزويج العزّاب أو تحقيق التوافق في إنجاح أيّ حالة زواج بين مؤمن ومؤمنة، كم أعدّ الله تعالى لهم من الأجر والثواب والمنزلة الرفيعة في الدنيا والآخرة. ففي الدنيا تكون لهم المكانة الاجتماعية والسمعة الطيّبة بين الناس، وفي الآخرة أعدّ الله تعالى لهم ما تشتهي الأنفس وتلذّ الأعين بما ساعدوا ومدّوا يد العون وأصلحوا.

قال الإمام الصادق سلام الله عليه:

«من زوّج أعزباً كان ممّن ينظر الله عزّ وجلّ إليه يوم القيامة»[1].

(١) الكافي للكليني: ٥/ ٣٣١ ج٢. وجاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه

وليعلموا كذلك أنّ لهم في كل خطوة يخطونها في هذا الطريق ـ وإن استغرق المسافات الطويلة واحتاج إلى الجهد الجهيد ـ حسنة تعدل جبلاً من ذهب؛ جزاءً وأجراً من الله الوهّاب الكريم على تلك المساهمة في إحياء سنّة نبيّه المصطفى صلى الله عليه وآله.

طلب المعونة من الله تعالى

إنّ طلب الإنسان من ربّه الجليل ـ في خاتمة دعاء أيّام شهر شعبان المعظم ـ المعونة والمساعدة على الاستنان بسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله، يدلّ على أنّ الاستنان والتبعية لسنّة المصطفى صلى الله عليه وآله بحاجة إلى معونةٍ من الله تعالى حقّاً، ومن دون هذه المعونة يجد المرء نفسه بلا توفيق معنويّ وروحيّ، وبلا

قال: **من زوّج أخاه المؤمن إمرأة يأنس بها، وتشدّ عضده، ويستريح إليها، زوّجه الله من الحور العين، وآنسه بمن أحبّه من الصدّيقين من أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله، وإخوانه، وآنسهم به.** عن مستدرك الوسائل للنوري: ١٤/ ١٧٣ ح٢، باب إستحباب السعي في التزويج.

استعداد وقوّة على فعل الخير، الأمر الذي يستظهر منه أنّ الله سبحانه لم يوفّقه لإنجاز فعل الخير لأسباب معيّنة، قد نجد فرصة أخرى بعون الله تعالى لبحثها وتناولها.

وعلى أيّة حال؛ فإنّ المؤمنين والمؤمنات مدعوّون جميعاً إلى مطالعة قضايا الزواج، لاسيّما تلك التي حدّث عنها الأئمة المعصومون سلام الله عليهم، والتي تعبّر تعبيراً صادقاً لما جاء في القرآن؛ ليجدوا أنّ نظرتهم سلام الله عليهم إلى قضية الزواج تختلف عن نظرة كثير من الناس إليه، وأنّ الزواج في شرعهم صلوات الله عليهم ليس مجرّد عرض مظاهر وتفاخر وزهو، بقدر ما هو مدرسة كفيلة بإعداد أجيالها نحو دين الله تعالى ومودّة آل بيت الوحي والنبوة سلام الله عليهم. فالزواج هو مشروع سعادة دنيوية تلقي بظلالها نحو الحياة الأخروية. بمعنى أنّ من الخطأ تطبيق الموازين والمقاييس السطحية الدنيوية على موضوع الزواج.

ركنا الزواج

إنّ للزواج ركنين مهمّين، هما: الإيمان والأخلاق. فعلى الشابّ أن يبحث عن الشابّة التي تتوافر فيها هاتان الصفتان، فإذا تحقّق له ذلك، كان حريّاً بنيل السعادة دون شكّ، أمّا الفتاة؛ فلا ينبغي لها إن تقدّم لها الخاطب أن تهتم أوّلاً بحجم ثروته، أو معرفة عدد ما له من الإخوة والأخوات، إلى غير ذلك من الجوانب الجزئية و غير المهمّة، إنّما المطلوب منها ـ لضمانها السعادة الحقيقية ـ أن تتأكد أوّلاً من تمتّع خاطبها بصفة الإيمان ومكارم الأخلاق الفاضلة، بمعنى توفّر نسبة معقولة ومرْضيّة من الإيمان والأخلاق يتكافأ فيها كلا الطرفين لتحمِلهما على توطيد الثقة فيما بينهما، والرضا في اختيارهما، ليشدّ كل منهما أزر الآخر، فيكونا تابعين لسيرة النبيّ والأئمة المعصومين سلام الله عليهم، الذين لم

يصدر عنهم ما يخالف الأدب والأخلاق الطيّبة تجاه نسائهم البتّة، رغم أنّ بعضهن كنّ يمارسن معهم سلوكاً سيّئاً.

ولا شك أنّ هذين الركنين ـ الإيمان والأخلاق ـ لا ثالث لهما ولا رابع ولا خامس ولا غير ذلك. فلا يظنّن أحد من الشباب أن ثمّة أركاناً أخرى يجب أخذها بعين الاعتبار إلى جانب الإيمان والأخلاق الفاضلة، كعامل المال أو الجاه أو الوظيفة، بدليل قول رسول اللّه صلى الله عليه وآله:

«تنكح المرأة على أربع خلال: على مالها، وعلى دينها، وعلى جمالها، وعلى حسبها ونسبها، فعليك بذات الدين» [1].

ذلك أنّ هذه العوامل عبارة عن مظاهر دنيوية لا

(١) دعائم الإسلام: ٢ / ١٩٥. وروي عن الإمام الحسن سلام الله عليه في رجل يستشيره في أمر زواج إبنته. فقال له: **زوّجها من رجل تقي. فإنّه إن احبّها اكرمها، وإن ابغضها لم يظلمها** ـ مكارم الأخلاق للطبرسي: ٢٠٤ الفصل الثالث في الأكفاء والنكت في النكاح.

قيمة ذاتية لها في نفسها، أي أنّ الفرد يجب أن يدرك إدراكاً تاماً أنّ المال مثلاً يكون ذا قيمة إذا كان التصرف فيه تصرّفاً لائقاً يقبله الشرع والعقل السليم، كما يكون وبالاً على صاحبه الذي لا يملك من الإيمان والأخلاق والعقل شيئاً.

وعليه، فقاصدا الزواج ملزمان بإمعان النظر فيمن يودّان الاقتران به من حيث كونه يملك الإيمان أو لا، قبل أن يسرحا الى بريق الذهب والفضة الزائلين يوماً لا محالة.

إنّ سعادة الزوجين لا تتحقّق بلذيذ الأطعمة والأشربة، ولا بما يستقّله الزوجان من سيارات فاخرة، إنّما السعادة ـ وهذا ما أثبته الدين والتجارب البشرية ـ تتحقّق بفضل الانسجام الذي هو وليد الإيمان والأخلاق الحسنة، الانسجام الذي يضفي أعظم القناعة على أبسط مستلزمات الحياة.

وهذه ليست أفكاراً مثالية أو خيالية، بل هي

حياة واقعية لمسها التأريخ في سيرة وسلوك أهل البيت سلام الله عليهم ومن تبعهم واستنّ بسنّتهم من الصالحين.

أصدق الصداق

يلزم على الرجل الذي يبغي النكاح أن يبذل شيئاً لمن يريد الزواج بها قلّ أم كثر ويطلق عليه الصداق أو المهر؛ فقد ورد أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لرجل أراد أن يتزوّج ولم يكن يملك مالاً: **«تزوَّجْها ولو بخاتم من حديد»**[١].

ورغم أنّ الإسلام لم يضع حداً معيّناً للمهر كما أخبر عنه الإمام الباقر سلام الله عليه في قوله: **«الصداق ما تراضيا عليه من قليل أو كثير فهذا الصداق»**[٢]،

(١) رسالة في المهر للمفيد: ٢٣.

(٢) الكافي للكليني: ٥/ ٣٧٨ ح٣ باب أن المهر اليوم ما تراضى عليه الناس قلّ أو كثر.

ولكنّه أثنى في الوقت نفسه كلّ الثناء على بساطة المهر ثناءه على توخّي العدالة والرحمة من قِبل الزوج على زوجته لدى التعامل والتعايش معها، نظراً لأنّ الهدف الأساسي من الزواج هو تحقيق أهدافه المشروعة في السعادة، وهذه السعادة المرجوّة يستحيل تحقّقها عبر أمور موهومة كما في تعيين مهر كثير أو ما شابه.

روي أنّ أحد المسلمين جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو يفتقر حتى إلى خاتم من حديد يعطيه لزوجته مهراً، فأمره النبيّ صلى الله عليه وآله بأن يعلّمها ما يحفظ من آيات القرآن[١].

ولكنّ المؤسف في الأمر أنّ المجتمع المسلم ابتعد بنفسه عن الثقافة القرآنية والنبوية، رغم أنّ الله وصف رسوله بقوله: ﴿**يَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ**

(١) الخلاف للطوسي: ٤/ ٣٦٦.

الَّتي كَانَتْ عَلَيْهِم﴾[1] ونحن نعلم أنّ الناس لدى بعثة الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله لم يكونوا مكبّلين بسلاسل مادّية ليقوم الرسول المبعوث بتحطيمها أو نزعها من أيديهم وأرجلهم، ولكن كانت في الأدمغة والعقول أغلال فكرية، فكان الهدف من بعث النبيّ صلى الله عليه وآله إزاحتها وإعادة العقول إلى فطرتها التي فُطرت عليها.

ولكنّ الناس ورغم تقبّلهم للإسلام ديناً، إلا أنّ كثيراً منهم امتنعوا عن السماح بتنظيف أدمغتهم، فحملوا الأغلال السابقة معهم، ومن جملة تلكم الأغلال النظرة الخاطئة إلى هدفية الزواج والإساءة في استخدام الوسائل والأدوات التي حدّدها الشارع المقدس لتحقيقها، فراح الآباء والأمّهات يزايدون في وضع الشروط والعقبات بوجه

(١) الأعراف/ ١٥٧.

من يتقدّم للزواج من أولادهم، بينما كان بمستطاع كلّ منهم أن يساهم في تحقيق زواج العديد من الشباب الفقراء، عوضاً عن رصد المبالغ الطائلة في هذا المضمار.

وظلّ الناس يتوارثون تلك الأغلال غابراً عن غابر حتى وصلت إلى جيلنا المعاصر، فأصبح الشابّ المؤمن الذي يمتنع عن جمع المال من الحرام محكوماً عليه بالعيش وحيداً. ولا شكّ في أنّ هذا الواقع إنّما يعبّر عن منطق مرفوض من قِبل الإسلام، لأنّه دين اليسر والتسامح، ولا يمكن أن يتصوّر فيه ذلك، وإلا فتخلّل الخطأ في المجتمع سيكون بنسبة عالية.

التسامح يتجلى بأبهى صوره

إنّ التسامح ضمن الحدود المعقولة يمثّل بحقٍّ ثقافة الدين الحنيف.

روي أنّ المأمون العباسي عندما أراد تزويج إبنته للإمام الجواد، رضخ لأمره سلام الله عليه رغم هيبة الملك والأجواء المحيطة به وما يخالجها من روح استعلائية، وذلك عندما عزم الإمام سلام الله عليه بألاّ يتجاوز مهر أمّ الفضل بنت المأمون مهر جدّته الصديقة فاطمة الزهراء سلام الله عليها[1]، ليس لأنه لا يمتلك المال أو لأنّه عاجز عن امتلاكه بقدر ما أراد صلوات الله عليه أن يعيد الى أذهان الأمّة الإسلامية أنّ الدين هو التسامح واليسر بين الناس.

أمّا الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه؛ فقد كانت داره متواضعة ومفروشة بأهاب كبش يلقيانه ـ هو والصدّيقة فاطمة الزهراء سلام الله عليهما ـ ويفرشانه[2]. وتزوج فيها بالصدّيقة الزهراء سلام الله عليها، وكانت

(١) انظر الاحتجاج للطبرسي: ٢/ ٢٤٠، في أجوبته على مسائل يحيى بن أكثم في مجلس المأمون.

(٢) راجع الكافي للكليني: ٥/ ٣٧٧ ح٥.

نتيجة هذا الزواج المبارك ذريّة مباركة، أوّلها الإمامان الحسنان سيّدا شباب أهل الجنة والعقيلة زينب الكبرى وأمّ كلثوم صلوات الله وسلامه عليهم، ثمّ تتالت الذريّة الطاهرة، فكان الأئمّة المعصومون سلام الله عليهم وأولادهم الأبرار الصالحون، كما يشير التأريخ الإسلامي الى تشرّفه بشخصيات علمية وقيادية فذّة من نسل الذريّة الطاهرة صلوات الله عليهم مثل السيد ابن طاووس والشريف الرضيّ والمرتضى والسيد بحر العلوم والسيدين أبي الحسن الأصفهاني والبروجردي، وغيرهم الكثير ممّا يصعب حصره وعدّه.

أمّا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله؛ فهو بدوره كانت الثروات الطائلة تدار بين يديه الكريمتين، إلا أنّه لم يكن يملك لنفسه من حطام الدنيا شيئاً، وربّما كان يبيت مع نسائه أيّاماً بلا طعام سوى الماء[1].

(١) انظر الخرائج والجرائح للراوندي: ٢/ ٥٢٨ ح٣.

إنّ هذه السنّة النبوية تعدل جبالاً من ذهب، لأنّها كفيلة بأن تزيح الفساد عن وجه المجتمع كليّاً فيما لو طبّقت! ولكم أن تلاحظوا الأمراض النفسية التي تعصف بالمجتمعات البعيدة عن هذه القيم، ولو رجعتم إلى حقيقة الأسباب الكامنة وراءها، لوجدتم أنّ أكثرها يعود إلى عدم الالتزام بالسنّة النبوية الخاصّة بتيسير أمر الزواج المبنيّ أساساً على أصول إنسانية حقيقية.

ومنشأ عدم الالتزام بالسنّة يعود الى تذرّع كثير من الناس بوفرة المال وتغيّر الحال في الوقت الحاضر، الأمر الذي شجّع على مضاعفة المهور وزيادة تكاليف الزواج، علماً أنّ الثروة هي الثروة، ولكنّ التصرف الأمثل الذي أشاد به النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قد تخلّف الناس عنه.

إذاً فالوسيلة التي تساعد المجتمع على تحقيق السعادة الأبدية من خلال الزواج تتمثل في إدراك

الحكمة النبوية الداعية إلى فهم حقيقة الزواج والنظر إلى آفاقه النورانية التي من شأنها صياغة شخصية الإنسان والقضاء على الأسباب والعوامل التي تعمل على هدم ديانته جرّاء انجرافه وراء العوالق الذهنية الخاصّة.

وإدراك هذه الحكمة بحاجة إلى طلب المعونة من الله سبحانه وتعالى ليوفّق، لها ببركة رسول الله محمد صلى الله عليه وآله، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين.

في إدارة الزوجة والأسرة[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى: ﴿**الرِّجَال قوّامُون عَلَى النِّسَاء بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وبِمَا أنْفَقُوا**﴾[2].

«قوّامون» جمع مذكّر سالم لكلمة «قوّام» والقوّام صيغة مبالغة من «قائم» ومعناهما : هو الذي يقوم بمصلحة أمر ما. فمثلاً في العراق يطلقون ـ في اللغة الدارجة ـ على خادم العتبات المقدّسة كلمة «گيّم» أي «قيّم» لأنه يقوم بأمر العتبات ويعنى بما يصلح

(١) ألقى سماحته هذه المحاضرة في ٢٩/ ربيع الثاني/ ١٤٢٢ للهجرة.
(٢) سورة النساء، الآية ٣٤.

شؤونها من تنظيف وترتيب وفتح للأبواب وما أشبه. وفي الفقه يقال: إنّ على الحاكم الشرعي أن يعيّن «قيّماً» على الأطفال الصغار الذين فقدوا أباهم.

فمعنى الآية المباركة أنّ الرجل هو المسؤول عن المرأة والقائم على شؤونها ومصالحها.

والآية ليست بصدد بيان حقيقة خارجيّة ـ فقد لا يكون الواقع كذلك في كثير من الأحيان ـ ولكنها بصدد تشريع حكم يجعل فيه الرجل قيّماً ومسؤولاً عن المرأة وليس العكس.

لاشك أنّ الرجل والمرأة متساويان من حيث الإنسانية والتكليف الإلهي بل هما متساويان حتى من حيث واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإنه يجب على كلّ منها بلا فرق، كلّ حسب قدرته.

فيجوز بل يجب على المرأة أن تأمر زوجها بالمعروف وتنهاه عن المنكر كما يجب عليه ذلك تجاهها، وإن كان هناك خلاف بين الفقهاء في

حدود الأمر والنهي ومراتبهما؛ لأن من مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الضرب واستعمال اليد والقوة إذا اقتضى الأمر. فقال بعض الفقهاء: لا يجوز ذلك للمرأة ويجوز للرجل، وقال بعضهم: لا فرق بينهما حتى من هذه الجهة.

إن بين الفقهاء خلافاً في موردين من حيث جواز الضرب واللجوء إلى القوّة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أحدهما المرأة تجاه زوجها، والآخر الأولاد تجاه والديهم، فقال بعض: هذان من موارد الاستثناء واستفادوا ذلك من عمومات أخرى؛ إذ لم ترد آية أو رواية تقيّد عموم مراتب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيما رفض آخرون هذا التقييد؛ لأن واجباً كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يمكن تقييده من خلال عمومات في موارد أُخرى بل لابدّ من وجود نصّ في خصوصه. ولم يرد فلا تقييد.

وهذا بحث طويل لا يناسب المقام الخوض فيه،

وإن كان من الموارد التي قد يبتلى بها المكلّف في حياته؛ لأنه كما قد تكون الزوجة أو الأولاد بحاجة لأن يؤمروا بالمعروف وينُهوا عن المنكر، كذلك قد يكون الزوج أو الوالدان هم من بحاجة إلى الأمر والنهي. فلقد كانت امرأة فرعون صالحة وكان زوجها منحرفاً، كما أن التاريخ يحدّثنا عن أشخاص انحرفوا عن الحقّ وكان أولادهم مهتدين.

المسألة المهمّة أنّ الآية الكريمة جعلت مسؤولية إدارة الأسرة على الرجل. ولا شكّ أن هذا لا يتنافى مع وجود بعض الاستثناءات؛ لأنّ الأحكام ـ كما يقول أهل العلم ـ تدور مدار القدرة، فقد يكون للمرأة كفاءة في الإدارة وقد يكون الرجل عاجزاً عن إدارة الأسرة أحياناً ـ عجزاً ذاتياً أو عرضياً ـ ولكن عموماً فإن الرجل هو الذي يكون مسؤولاً ومديراً بنسبة القدرة التي يتوفّر عليها؛ قال سبحانه تعالى: ﴿**يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا قُوا أنفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا**

النَّاسُ والحِجَارَةُ﴾[1].

وإذا كانت إدارة الأسرة في الإسلام تقع على عاتق الرجل، وكان لابد من توفّر شرط القدرة فيه، فهذا يعني أنّ هذه المسؤولية تكون ـ على حدّ تعبير العلماء ـ واجباً مطلقاً؛ فلا بدّ للرجل أن يسعى في تحصيل مقدّماته الوجودية، كما هو الحال في كلّ الواجبات العقيلة.

فعندما يجب الحجّ على المكلّف مثلاً، تصبح كلّ المقدّمات لأداء هذا الواجب واجبة عليه، ومنها تهيئة مقدّمات السفر ووسائله. وهذا الوجوب ـ أي وجوب إعداد المقدمات ـ يحكم به العقل فهو واجب عقليّ.

وهكذا الحال في المقام ـ إداراة الأسرة ـ لابدّ أن يعمل الرجل ـ حسب المتعارف ـ كلّ ما من شأنه أن يمكّنه لإدارة الأسرة والزوجة إدارة صالحة؛ بحيث

(١) سورة التحريم، الآية ٦.

تكون الزوجة مؤمنة وصالحة في جميع الأبعاد ومنها بعد الطاعة للزوج، وكذا الأبعاد الأُخر مثل الالتزام بالواجبات والتحلّي بالأخلاق الحسنة ، التي ندب إليها الإسلام.

لاشكّ أن للمجتمع الأثر البالغ على الأفراد، ولذلك قد لا ينجح الفرد في تحقيق كلّ ما يقصده ولكن الأمر لا يبلغ إلى حدّ لا يكون للفرد أيّ أثر على أسرته؛ فإنّه رغم التأثير السلبي الذي يتركه الجوّ العام على أفراد الأسرة وتوجّهاتهم يبقى لربّ العائلة وقيّمها دور في توجيههم الوجهة الصحيحة؛ بل على الرجل (الأب) أن يؤدّي دوره على كلّ حال، ولو من باب إتمام الحجّة؛ لأنّ العلة الغائية للمسؤولية ليست هي التأثير وحده، بل علّتين غائيتين إحداهما: التأثير، والثانية: إتمام الحجة؛ **﴿وَإِذَ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ**

مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾[1].

يثبت الواقع الخارجي أن تأثير الرجل على المرأة أكثر من تأثير المرأة على الرجل ـ غالباً ـ وأن تأثرها به أكثر من تأثره بها وإن كان هناك استثناءات؛ قال سبحانه تعالى: ﴿**ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ**﴾[2].

إن الامتحان في هذه الحياة الدنيا صعب وليس سهلاً، ولكن لو صمّم الانسان على الاستعداد له فإنه سيتجاوزه بنجاح، لا أقول إنه سيسهل فهو صعب على كلّ حال، ولكن يمكن للشخص أن يتحمّله. أذكر مثالاً على ذلك: إذا أصيب شخص بمرض وقيل له إنّ عليك أن ترقد في المستشفى ثلاثة أشهر فإنّه سيستصعب الأمر في البداية ولا يتقبّله بسهولة، ولكن إذا عرف أنّه لابدّ منه فإنه

(١) سورة الأعراف، الآية ١٦٤.

(٢) سورة يونس، الآية ١٤.

سيوطّن نفسه على الأمر وبالفعل تراه يبقى كلّ تلك المدّة في المستشفى بغية أن يتماثل للشفاء فيخرج، وهذا لا يعني أنّ الأمر كان سهلاً بل إنّ التصميم قلّل من صعوبته وجعله قابلاً للتحمّل.

فلو اعتقد الانسان بأمر ثم صمّم عليه فإنه سيجتازه بنجاح. فالعقيدة موجودة إن شاء الله تعالى؛ وعندنا القرآن الكريم وروايات أهل البيت سلام الله عليهم، فلنصمّم من الآن على أن نجتاز الامتحانات في هذه الدنيا ونتحمّل صعوباتها، ليوفّقنا الله تعالى ونؤدّي وظائفنا بصورة صحيحة. فإنّه إذا اشتدت العزيمة زاد التحمّل بنسبتها.

لقد ذكروا في أحوال النبي صلى الله عليه وآله أنّه كان كثير العاطفة كما كان كثير العقل. وهذا معناه أن الكلمة الحادّة التي قد تؤثّر فيّ أو فيك، كان تأثيرها في النبيّ أكثر، ولكنه صلى الله عليه وآله كان يحمل بين جنبيه ـ في الوقت ذاته ـ نفساً عظيمة أعظم من

نفوسنا، وعقلاً كبيراً أكبر من كلّ العقول فكان يغضي عن السيئة ويترفّع عن صغائر الأمور ويتحمّل المصاعب في سبيل الله عزّوجلّ .

لقد ذكروا في أحوال النبي صلى الله عليه وآله أنّ وجهه كان يحمرّ إذا غضب؛ ـ وربما كان هذا في بعض غضبه ـ وذكروا أيضاً أنه لم تكن في محاسنه الشريفة إلا سبع عشرة طاقة بيضاء فقط؛ رغم كلّ المشاكل التي كانت تواجهه في سبيل رسالته المباركة ؛ ومع أنه صلى الله عليه وآله قد بلغ الستين من العمر.

وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على أنّ الانسان إذا اعتقد بشيء وصمّم عليه، يسهل عليه تحمّل أعظم الصعوبات في سبيله.

إرشادات مرجعية

وردت إلى موقع سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد صادق الحسيني الشيرازي دام ظله أسئلة عديدة بخصوص الأسرة، والعلاقات الزوجية، وتربية الأولاد، وما يرتبط بذلك. فقمنا بجمعها وترتيبها، ثم عرضناها على مكتب سماحة السيد دام ظله في مدينة قم المقدسة، فوافونا ـ جزاهم الله خيراً ـ بالإجابة عليها.

ونظراً لأهمية موضوع الأسرة، والحاجة الملحة لدى كثير من المؤمنين والمؤمنات لمعرفة

تعاليم الإسلام السهلة والسمحة والسامية في كيفية بناء أسرة صالحة، ومجتمع سليم ومتديّن، ارتأينا نشرها كما هو أدناه، تعميماً للفائدة، والله من وراء القصد.

س١ : ماهي مكانة الأسرة في الإسلام؟

ج١: الأسرة لها المكانة المرموقة في الإسلام ، وقد أولاها الاهتمام الكبير وعُني بإصلاحها ورعايتها، لأنها اللبنة الأولى في المجتمع ، وفي صلاحها صلاح المجتمع وسعادة الأمّة. إنّ نظام الأسرة في الإسلام هو أفضل نظام عرفه العالم حتى الآن أو قد يتعرّف عليه في المستقبل ، كما اعترف بذلك علماء النفس والاجتماع المعاصرون وغيرهم.

س٢ : ما هو واجب الزوج تجاه الزوجة وبالعكس؟

ج٢: واجب الزوج تجاه زوجته أن يحترمها، وينفق عليها، ويُسكنها ويُطعمها ويَكسوها بما يليق بها، ويناسب شأنها، وواجب الزوجة تجاه زوجها أن تطيعه في الفراش وفي الخروج من الدار. هذا هو واجبهما الشرعي.

أمّا الواجب الأخلاقي فيتجلّى في التفاهم والتشاور في الأمور واتّخاذ القرارات بينهما، وعدّ كلّ منهما صاحبه شريكَ حياته وشريك مستقبله، وتقدّمه ورقيّه.

س٣: كثُر في عصرنا الحالي الدعوة إلى تحديد النسل بذريعة تحسين الوضع الاقتصادي للعائلة والحدّ من الانفجار السكاني ومكافحة الفقر وما إلى ذلك، ما هو رأي الشارع المقدّس تجاه هذه الدعوة؟ وهل يجوز العمل بها؟

ج٣: في القرآن الحكيم: ﴿**وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**﴾[1] وفي الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «**تناكحوا تناسلوا، فإنّي أُباهي بكم الأُمم يوم القيامة ولو بالسقط**»[2]. وفي حديث آخر ما مضمونه: إنّ من سعادة المرأة أن تكون حاملاً وأن ترضع طفلاً وأن تأخذ بيد ثالث، مما يدلّ على تحبيذ الاسلام لكثرة التوالد والتناسل والاهتمام ـ في الوقت نفسه ـ بالتربية والتنشئة الصحيحة.

س٤: كيف يتمكّن الزوجان من الحفاظ على نقاء المحيط العائلي؟

ج٤: يتمكّن الزوجان من حراسة نقاء المحيط العائلي ودوام سلامة العلاقات الودّية بينهم، من خلال التزوّد بثقافة القرآن الكريم وتعاليم

(١) سورة الأنعام، الآية ١٥١.

(٢) جامع الأخبار، للشعيري، الفصل ٥٨، ص ١٠١.

أهل البيت سلام الله عليهم وكذلك التخلّق بالأخلاق الحسنة وتربية الأولاد على ذلك.

س٥: تختلف طبائع كلّ إنسان عن الآخر، كيف يتمكّن الزوجان من إيجاد التوازن في علاقة بعضهما ببعض لأجل الحفاظ على كيان وشمل الأسرة؟

ج٥: يُعرف من الجواب السابق، مع ضمّ عامل التسامح والتواضع للآخر والتجاوب والتجامل معه.

س٦: لماذا صار الرجل قيّماً على المرأة؟

ج٦: لابدّ للأُسرة من قيّم ومدبّر ـ علماً بأن القيّم في اللغة يطلق على الذي يقوم بحفظ الأُسرة وإدارتها ماديّاً ومعنوياً ـ والرجل أقوى جسدياً وروحياً على الإدارة والتدبير، بينما المرأة أضعف جسدياً وروحياً على ذلك،

فمراعاة لحال المرأة وتكريماً لها جعَل الله القيمومة للرجل.

س٧: هل يُحبّذ الإسلام عمل المرأة؟ وماذا لو أضرّ عملُها بكيان الأسرة؟

ج٧: المرأة في الإسلام ـ كما جاء على لسان أمير المؤمنين سلام الله عليه ـ : **«ريحانة وليست بقهرمانة»**[1]، لذلك حبّذ الإسلام للمرأة مزاولة الأعمال التي تنسجم مع طبيعتها مثل تربية الأولاد، ومزاولة الأعمال البيتية والمنزلية، والمشاغل الخفيفة مثل التطريز والخياطة والحياكة وما شابه ذلك مما تستطيع القيام بها وهي في منزلها ومن دون تجشّم الخروج وأتعاب السوق والشارع.

س٨: بماذا تنصحون الزوج والزوجة للتغلّب على

(١) خصائص الأئمة، للرضي، ص ١١٦.

المشاكل وحلّها؟

ج٨: التعقّل والتدبّر، وكذلك المشاورة والمفاهمة في الأمور ، منضمّاً إلى سعة الصدر والتسامح خير ما يعين الزوجين في التغلّب على المشاكل وحلّها بسلام.

س٩ : استخدام العنف ضدّ الزوجة ، هل يجوّزه الإسلام، خاصّة في حال عصيان الأخيرة للزوج؟

ج٩: في الحديث الشريف: «**ما وضع الرفق (اللين) على شيء إلاّ زانه ، وما وضع الخرق (العنف) على شيء إلاّ شانه**»[1]، مضافاً إلى أنّ العنف قسوة وجفوة وقد حرّمهما الاسلام وخاصّة مع الزوجة وأفراد الأُسرة.

س١٠ : في عصرنا الراهن حيث كثُرت وسائل الراحة وأدوات الترف والتجمّل وما شابه ذلك،

(١) مستدرك الوسائل، ج ١١، باب استحباب الرفق في الأمور، ص٢٩٢/ ح ٤.

تحدث مشاكل وربما نزاع حادّ يؤدّي أكثره إلى تخاصم الزوجين وتصدّع العلاقة بينهما وربما زعزعة استقرار الأسرة بسبب عدم قدرة الرجل على تلبية طلبات الزوجة لضعفه المالي والاقتصادي. ماهي وصاياكم للزوجة بهذا الخصوص؟

ج١٠: إنّ السيدة العظيمة فاطمة الزهراء سلام الله عليها من حيث كونها زوجة لعلّي سلام الله عليه هي قدوة للزوجات مع أزواجهن، فإنّها سلام الله عليها كانت تطوي هي وأولادها جوعاً دون أن تخبر بذلك أمير المؤمنين علياً سلام الله عليه كي لا يتصوّر (الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه) أنّها تطالبه بطعام، فكيف بوسائل الراحة والترف والتجمّل؟ ولمّا كان الإمام سلام الله عليه يتعرّف عن حالهم تلك، وأنّهم قد أنفقوا ما عندهم في سبيل الله

يسألهم عند عدم إخبارهم بذلك؟ فتقول السيدة فاطمة سلام الله عليها: **«إنّي لأستحي من إلهي أن أُكلّف نفسك ما لا تقدر عليه»**[1] فتقع في عسر وحرج، وهذا الأسلوب من الزوجات المؤمنات مع الأزواج المؤمنين يوفّر السعادة للزوجين ويغدق عليهما الحياة الهانئة والطيبة.

س١١: ما هي مقوّمات العائلة السليمة؟

ج١١: مقوّمات العائلة السليمة هي: الثقافة القرآنية المبتنية على تعاليم الرسول صلى الله عليه وآله وأهل بيته سلام الله عليهم والتي في مقدمتها: رعاية الحقوق المتقابلة، والاحترام المتبادل، والآداب السامية التي رسمها الاسلام للحياة العائلية ولكلّ فرد من أفراد الأُسرة.

(١) بحار الأنوار، ج ٤٣، الباب٣، مناقب فاطمة سلام الله عليها وفضائلها و...، ص ٥٩ / ح٥١.

س١٢: ما هي أضرار الطلاق على الزوجين وعلى الأولاد؟

ج١٢: الطلاق كما في الحديث الشريف: **«أبغض الحلال إلى الله تعالى»**[1]، ومنه يهتزّ العرش، وأضراره كثيرة وعمدتها: الفرقة والتبعثر، وضياع الحقوق والكرامات، وتعقيد نفسيات الأولاد وتخريب مستقبلهم.

س١٣: ما هو واجب الأبوين تجاه أولادهم وكيف يؤهّلونهم للمستقبل؟

ج١٣: في الحديث الشريف: إنّ على الوالدين تجاه الأولاد: **«التسمية الحسنة، والتربية الحسنة، والتعليم والتثقيف»**[2] بثقافة القرآن وأهل البيت سلام الله عليهم والتزويج عند البلوغ، وروي: **«دع ابنك**

(١) مستدرك الوسائل، ج١٥، باب كراهة الطلاق، ص ٢٨٠، ح ٥.
(٢) من لا يحضره الفقيه، ج٤، باب النوادر، ص ٣٧١.

يلعب سبعاً، وعلّمه سبعاً وألزمه سبعاً»[1] أي: اجعله مشاورك في الأمور ومرافقك فيها ولا تتركه وحده فيغويه شياطين الإنس والجنّ.

س١٤: هل يجوز استخدام العنف في تربية الأولاد أو في حال عصيانهم للأبوين؟

ج١٤: لا يجوز ذلك (غالباً) بل التربية تعتمد (في الأغلب) على الحكمة والأخلاق والمداراة.

س١٥: في وقتنا الحالي يقوم بعض الآباء بطرد أولادهم من البيت بسبب تمرّدهم على تعاليم الأسرة أو عدم إطاعة الأبوين وبالخصوص الأب، وعندما يُطرد الولد أو البنت من البيت سيترتّب على هذا الأمر آثار سيّئة ووخيمة تؤثّر على سلامة المجتمع وتربية الولد أو البنت ما هو قولكم في

(١) وسائل الشيعة، ج٢١، باب ٨٣، ص٤٧٥، ح ٢٧٦٢٦.

هذا الخصوص؟

ج١٥: المقاطعة والطرد ليسا من عوامل التربية والإصلاح، بل هما من أهمّ عوامل الخيبة والخسران، بل الانحراف والفساد، لذلك يتحتّم على الوالدين عدم استخدام هذين العاملين إطلاقاً.

س١٦: هل من الصحيح إطلاق الحرية للأولاد؟

ج١٦: يجب أن تكون التربية على أُسس متينة ومدروسة بحيث يحسّ الأولاد بكامل الحرية في مزاولة الخير والاحسان؛ طبعاً بتشاور مع الوالدين، وأن يروا أنفسهم في ظلّ رقابة من طرف الوالدين فيما لو أرادوا الشرّ أو فكّروا فيه، وهذا التحسّس بالحرية من جهة، وبالرقابة والترصّد لأعمالهم من جهة يجعلهم

في استقامة من أمرهم ويضمن سلامة مستقبلهم.

س١٧: هل تزويج الأولاد يُعدّ من واجبات الأبوين؟ وبِمَ تنصحون الآباء في هذا الخصوص؟

ج١٧: تزويج الأولاد من حقوق الأبناء على آبائهم، وذلك حينما يصلون مرحلة البلوغ الشرعي، ومعناه: توفير أسبابه ومقتضياته فيهم، والإقدام على اختيار البنت لخطبتها بالنسبة للذكور، وارتضاء الخاطب من حيث حسن تديّنه وحسن أخلاقه بالنسبة للإناث، وغير ذلك مما يؤدّي إلى تزويجهم.

س١٨: كيف ينظر الإسلام إلى المهر؟ مهر الزواج.

ج١٨: مهر السنّة وهو (٥٠٠) درهم شرعي فضّة مهر مبارك، وهو للزوجة، ولها أن تؤثّث

بها لمنزل الزوجية، وفي الحديث الشريف: **«سعادة المرأة في قلّة مهرها، وشؤمها في كثرة مهرها»**[1].

س١٩: بماذا أوصى الإسلام في تقوية أواصر المحبّة والارتباط الحميم بين الأبوين والأولاد؟

ج١٩: أوصى القرآن الحكيم الأولاد باحترام الأبوين والإحسان إليهما، وطيب الكلام معهما، والتواضع لهما، والدعاء بالرحمة لهما، وأن لا ينسوا ما قدّماه إليهم من مودّة ومحبّة، ومن تعب وعناء، ومن بذل وإنفاق، فإذا قام الأولاد بواجبهم والتزم الأبوان بأداء حقوق أبنائهم قويت أواصر المحبّة والألفة بينهم.

س٢٠: بماذا توصون الآباء والأمّهات لحفظ أولادهم من الغزو الثقافي والتيّارات المنحرفة التي

(١) وسائل الشيعة، ج ٢٠، باب ٥٢، ص ١١٢، ح ٤.

باتت اليوم تستهدف بلداننا الإسلامية وبالخصوص جيل الشباب؟

ج٢٠: في الحديث الشريف مفاده: «بادروا أحداثكم **(شبابكم بنات وذكوراً)** بتعليمهم أحاديثنا»[1] حتى لا تفسدهم (الخطوط الانحرافية).

ويمكن في هذا المجال تعليم الأولاد ما جاء في (أُصول الكافي) من أحاديث شريفة، فإنّ تعليم أحاديثها الشاملة للعقائد والأصول، والأخلاق والآداب يحصّن الأولاد تجاه الغزو الثقافي والتيّارات المنحرفة، ويقيهم شرّ ذلك إن شاء الله تعالى.

(١) تهذيب الأحكام للطوسي، ج٨، باب ٥ ص ١١١، ح٣٠.

الفهرس

السُنّة والشفاعة ٥
سنّةالزواج..... ٦
طلب المعونة من الله تعالى..... ١٠
ركنا الزواج ١٢
أصدق الصداق..... ١٥
التسامح يتجلى بأبهى صوره ١٨
في إدارة الزوجة والأسرة..... ٢٣
إرشادات مرجعية ٣٣
الفهرس ٤٨